- **المحور السادس:القبيلة في الغرب الإسلامي: التاريخ، الأنساب المجال، أنماط المعيشة،، الأعراف، الدور السياسي، العلاقات الاقتصادية.**

1- الأعراف والعادات والتقاليد في المجتمع القبلي :

أعراف الزواج : نوازل النكاح العديد الحقائق المتعلقة بالحياة الأسرية، فالزواج في البادية كان يتم في كثير من الأحيان بين الأقارب فقط وبين أفراد القبيلة الواحدة، فمثلا سئل عن رجل قال لابن ، كما أن الزواج في البوادي لا يتم لجمال ولا لمال عمه تزوج فلان فلانة أخت القائل المذكور ، والمهر فيها لا يذكر في جلسة عقد النكاح ويتفق عليه قبلها، وربما على حسب استطاعة كل ، ومن عاداهتم كذلك أن العروس تجهز من قبل والدها، وتبين ذلك إحدى النوازل أن شخص هناك من الآباء من كان يهب ابنته في صغرها بعض الهبات والعطايا لتجهيزها فهناك إشارة لرجل وهب ابنته خمسون رأسا من الغنم من أجل هذا الغرض .أما الاتفاق على موعد الزفاف فإنه يتم بعد الانتهاء من إعداد الجهاز ومن المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من جزور أو لحم إلى بيت والد العروس لكي يعدوا طعاما يأكل منه ، وفي بعض الأحيان كان والد العروس يشترط على زوج ابنته أن 5 أقارب العروسين ليلة الزفاف تكون الهدية قبيل الزفاف عبارة عن ثورين أو ثور وكبش وتعتبر ملكا للزوجة ولها الحق في التصرف ، ويذكر الونشريسي أن الزوج كان يرسل مالا للعروس تستعين به لشراء ما يلزمها قبل الزفاف فيها الزفاف ويسمى حق العروس وكانت تشتري به بعض المقتنيات من طيب وحناء وتكتري الحلي التي تتزين هبا ليلة الزفاف .وتحدثت بعض النوازل الأخرى عن حفل الزواج الذي كان ينقسم إلى حفلين أحدهما يتم نهارا للرجال وآخر ليلا للنساء، وفي كل منهما يقومون بالرقص والغناء و إلى غير ذلك.

ذكرالونشريسي إن من عادات أهل البوادي التهادي فيالأعراس وتكون الهدية بينهم بالدراهم بالطعم كالزيت والقمح وتشير بعض النوازل الأخرى أن العروس تقوم بتزينها المشاطة ليلة الزفاف ومن وسائل التجميل دهان جسدها ووجهها ببعضالفاكهة الطيوب والأصباغ التي تظهر جمالها وكل حسب مقدرته .وعن ولي البنت إذا توفي والدها ذكر في النوازل أنه يتولى تزويجها عمها، أما إذا كان لها أخ بالغ عاقل فهو أولى بعقدقرانها .وتفيدنا بعض النوازل بان بعض طالبات الزواج في من قرى المغرب من وصفن بأنهن من أهل التهم والدناءة في قدرهن وليس لهن ولي، كان يقصدن إمام مسجد القرية ليتولى تزويجهن دون إذن من قاضي الحاضرة، وذلك على أساس أن صلاح شأنهن يتم بالزواج، أو يهاجرن من القرية إلى الحواضر المجاورة حيث يعلن التوبة في الجامع،

وكان القضاة وأهل الفتوى يأذنون لهن بالزواج إثبات أنهن ذوات ظروف ويصدقن بأن ليس لهن أزواج .النوازل النساء من الميراث وذلك منذ القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي إلى عصر الونشريسي أي العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، وحرم النساء من الميراث لكي لا تخرج أملاك الأسرة خارجها، وربما لأجل هذا كان ، وكذلك كان من عاداهتم أن الزوج يتصرف في أملاك زوجته، كما توضح المصادر الزواج بين الأقارب في بعض النوازل أن العرب اعتادوا على أن تزوج المرأة لمالها

2 - عادات وتقاليد الاحتفال بالاعياد

الاحتفال بالمواسم والأعياد :مع تسليمنا أن اجملتمع البدوي كان يتمتع بالحرية والتسامح الديني إلا أنهم كانوا يقومون بالشرائع الإسلامية كالصلاة والصيام والأعياد الدينية، فالأمير حماد مثلا: كان يصوم ثلاثة أشهر في السنة ويمتنع عن شرب الخمر .ويذكر الغبريني أن بجاية كانت تضم اثنان وسبعون مسجدا وأهلها يحيون ليلة السابعوالعشرون من رمضان .كما أن الأمراء اهتموا ببناء المساجد بدليل أن مصلى قصر المنار و بمسجد القصبة هو أصغر مسجد في العالم الإسلامي وهو المسجد الجزائري الوحيد التابع لقصر وزخارفه لا مثيل لها في الفن الإسلامي .، ويبدوا أن هاته الأعياد والمناسبات كانت كما عرف أهل كتامة بحسن الضيافة والكرم تحظى باهتمام أمراء الدولة بدليل أن قصر أميمون ببجاية كان يضم قاعة خاصة بالاحتفالات .يحتفل أهل البوادي بمناسبة المولد النبوي فتعد أنواع متعددة من الأطعمة، وتقاد الشموع في الكتاتيب، ويجتمع المعلمون والصبيان لصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام وتلاوة القرآن، وإنشاد بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجتمعن النساء في البيوت ويقدن ، وعمل الفقهاء على الترويج لهذه العادة والاحتفال هبا والحث على الاجتماع في الشموع المساجد والزوايا والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام وتلاوة القرآن والصدقة في السر من الأطعمة المحضرة وإفطار يوم المولد النبوي لأنه مناسبة من المناسبات التي يساعد فيها الفقير والمسكين .

أما بالنسبة لشهر رمضان يكلف مجموعة من العدول لرصد طلوع الهلال فإذا ثبتت رؤيته في قرية من القرى يقوم سكانها بإشعال نار لإخبار باقي القرى المجاورة بدخول شهر رمضان فيصوموا من غدهم، وكذلك يفعل لرصد هلال عيد الفطر وتحضر أطعمة مختلفة ومتنوعة للاحتفال بالعيد .ويحتفل بالعيد الأضحى يوم العاشر من ذي الحجة، فيسعى كل واحد من سكان البادية لاختيار أضحية العيد التي لا يجد بعضهم مشقة في توفيرها على اعتبار أن أغلبيتهم كانوا يملكون قطيعا من الماشية والأبقار، وجرت العادة

انه بعد الانتهاء من الصلاة يقوم الإمام الذي صلى ، غير أن بالناس بذبح الأضحية أولا ثم يضحي الناس من بعده كما أفتى بذلك علماء المالكية الملفت للانتباه أن العديد من أسر القبائل البربرية يفضلون الأبقار والماعز عن بقية المواشي، ويتعاون الأهل في عملية الذبح والسلخ .ويعد يوم عاشوراء من الأيام التي يحتفل هبا المسلمون فيعدوا ما لذ وطاب من المأكولات ونهى الفقهاء عن كثرة التبذير للأطعمة المختلفة والمتنوعة ويحييون هذا اليوم بالعبادة والصدقة وأعمال الخير دون تبديد الأموال خاصة في الأطعمة فمثل هذه الأفعال تفقد المناسبة روحها وتفسد عبادهتم وتلهيهم عن ما هو أصح بان يقوموا به، وحتى لا يكلف الناس أنفسهم بأشياء هم غنى عنها ولا حاجة لهم هبا، ولكي لا تكون بدعة متداولة بينهم.كذلك كان يحتفل بختان الأطفال فيقيمون مأدبة يدعى لها الأهل والأقارب

من العادات والتقاليد المتصلة بالجنازة يشير الونشريسي أن الناس يقومون في جنائزهم بالجهر بالتهليل أمام الجنازة وذلك بالتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد، وفي اليوم السابع يقيمون عشاء يسمى سابع الميت يصنعون فيه طعاما للقراء والفقراء والأقارب، ويستأجرون أحد القراء لتلاوة ما تيسر من القرآن على القبر .وفي اليوم الموالي يخرجن نساء أهله وأقاربه ومعهن نساء جيران إلى المقبرة، أما بالنسبة إلى الجيران يحملون الطعام إلى المرأة التي توفي زوجها أو ولدها كانت تزور قبره كل يوم

3- الأطعمة والمشروبات :

لكل مجتمع أطعمة خاصة به وأكلات تطهى في بيوهتم ولا بد ان لأهل بادية المغرب ما يميزها من ذلك، وبالرغم من أن كتب النوازل تذكر أي نوع من المشروبات التي كان أهل البدو يتناولوها، إلا أننا نستنج أن أهل البدو كانوا يتناولون الحليب كمشروب أساسي في كل وجباهتم، وذلك لما كانت توفره لهم البيئة، وبالإضافة إلى الحليب هناك الأشربة حصل عليها البدو من الطبيعة فكانت تصنع من النباتات كمشروب، وأيضا من اجل العلاج من الأمراض التي كانت يصابون هبا، ومنها ما يصنع من قشور وعروق النافع، وحبق و الترنج وغيرها من نباتات ويصنع 5من التمر نبيذ النخيل المعروف باسم اللاقمي وكان أهل الجنوب يشربونه .أما بالنسبة للأطعمة فذكر سوى النادر القليل حيث لم تخرج عن المنتوجات الزراعية والأساسية وخضر منها الكسكس بالسمن والعسل القمح والشعير والحنطة وفواكه المواد الأساسية ، إلى جانب أنواع اللحوم منها لحم البقر والماعز والإبل 3 ، والعصيدة وثريد 2 والبسيسة وشربة الفريك ولاسيما أن أهل البدو كانوا يمتلكون قطعانا من الماشية بإضافة إلى إطباق من الأسماك خاصة و ، إلى جانب

ما كانوا يصطادونه من الطيور 4 أن سواحل كانت تتوفر على أنواع متنوعة من الأسماك .كما كانت تحضر المرأة في البادية أنواع من الحلويات منها طائر السماني الذي كان موجود بكثرة الحلويات كالمسمن، والفطائر بالمواد التي توفرت لها من بيض واللوز والتين اجملفف والعسل والزيت 6 .والتمر والزبدة وغيرها من المواد أما عن أصناف الفواكه التي كانت تزين موائدهم نذكر منها التفاح والخوخ والتين والمشمش ، وكان من عادة أهل البدو أن يحفظوا ما يحتاجون إليه من مأكولات وثمار لسنة كاملة والسفرجل كاملة منها التين والعنب والجوز ويحفظون الرمان في أماكن خاصة إلى أوائل الربيعحيوانية التي تخلط بكيفيات متعددة وتحضر بأوجه مختلفة فتنتج مأكولات متنوعة .

4- الألبسة

الإنسان منذ القديم إلى تغطية جسمه فارتدى ألبسة مختلفة ومتنوعة حسب النمط المعيشي السائد،حتى أصبح مظهرا اعتياديا ،ولهذا يعد ما يلبسه أهل

المغرب من العادات التي أوضحتها النوازل، فتحدثت عن اللثام عند المرابطين الذي ينشئون عليه منذ الصغر ويعتبر زيهم وذكرت أيضا العمامة المميز

وهي غطاء يضعه الرجال على رؤوسهم، واختلفت طريقة وضعها وذكرت أيضا العمامة فالأعراب اتبعوا في ذلك طريقة أسلافهم البربر الرحل حيث كانوا يلفون العمامة حول الرقبة ومكان حبل الوريد قبل لفها حول رؤوسهم ثم يلثمون بطرف الباقي الذقن، ولا يعرف الفرق بين العمامة و الزمامة الزرقاء التي كان يلبسها الأعرابي، أما عامة الناس كانوا يضعون على رؤوسهم الشاشية، ويمكن أن يلبسها الأطفال أيضا وتصنع من الصوف.

كما ذكر الكساء ولم يوضح ما هو، إلا أنه يصنع من الصوف وربما يقصد بالكساء كل ما ، ويضن بأنه البرنس، أما برنشفيك فذكر الكساء على يلبس على الجسم ولم يحدد بشيء معين ، كما انه لباسهم الداخلي، وهو عبارة عن قطعة قماش مضلع يسدل طرفها على الكتف الأيسر .كما عرف أن كسوة الرجال تنسج اغلبها من الصوف مثل البرنوس والجلابة وسروال الصوف وعن ما يلبسه أهل البدو في أرجلهم ذكر في النوازل النعال وهو حذاء مصنوع من الجلد ، وعلى خلافهم ميز بين الخف والنعال فيذكر أن اختلف في تسميته بين نعال وخف وقبقاب ، ولم يذكر عن ما تلبسه الخف مصنوع من فلين أما النعال فيصنع من الجلد اللين وسعف النخيل تلبسه نساء البدو شيء غير أن بعض النوازل تحدثت عن أنواع الأقمشة من حرير وكتان، و أن لباس النساء في الأرياف والمدن يختلف بين الغنية والفقيرة فالمرأة الفقيرة تظهر وعليها نصف حنبل وتحته فوطة

وبالعكس من ذلك فقد كانت النساء الريفيات من ذوات المنزلة الرفيعة يتأنقن في لباسهن فيرتدن أقمصة سوداء ذات أكمام عريضة عليها رداء يسمى ملاءة من نفس اللون أو أزرق يشدونه فوق كتفين بواسطة حلقات من فضة مصنوعة بمهارة، وغطين وجوههن ببرقع مثقوب في مكان العين، أما بالنسبة إلى اجملوهرات فهي الخرصان، والخواتم، والخلاخل، والأساور المصنوعة أحيانا من الذهب وفي الغالب من الفضة وهي علامة من علامات الثروة، ووسيلة أيضا من وسائل الادخار.